

طالبوا بإجراء تحقيقات مستقلة في جرائم الحرب المتعلقة بالتعذيب في العراق

تعكس الأدلة التي نشرت في الآونة الأخيرة بشأن ما مارسته قوات الائتلاف من تعذيب وإساءة معاملة في السجون العراقية التقارير المتعددة بشأن انتهاكات حقوق الإنسان التي تلقتها منظمة العفو الدولية خلال العام الماضي. حُثوا سلطات الولايات المتحدة والمملكة المتحدة على دعم إجراء تحقيق شامل ومستقل وعلني؛ وعلى محاسبة جميع من ارتكبوا أعمال التعذيب ومارسوا المعاملة القاسية واللاإنسانية والمهينة، وكذلك من أسهموا في الثقافة القيادية المتواطئة مع مثل هذه الانتهاكات؛ وحثوها على ضمان معرفة جميع قوات الائتلاف بأن مثل هذه الانتهاكات لن تلقى التساهل.

العراق: منظمة العفو الدولية تزيح الستار عن نمط من التعذيب وإساءة المعاملة

أثار نشر صور المعتقلين العراقيين وهم يُخضعون للإساءة البدنية والنفسية في سجن أبو غريب الصدمة والشعور بالغضب الشديد في مختلف أنحاء العالم. بيد أن ما أحرته منظمة العفو من أبحاث يكشف عن أن الانتهاكات المزعومة التي ارتكبتها عملاء الولايات المتحدة في مرفق سجن أبو غريب في بغداد ليست مجرد حالات معزولة.

فلما يربو على العام، دأبت منظمة العفو الدولية على التحقيق في انتهاكات لحقوق الإنسان شملت مزاعم بتعذيب المعتقلين وإساءة معاملتهم على أيدي قوات الائتلاف. وتشير شهادات استمعت إليها المنظمة من معتقلين سابقين إلى وجود نمط مماثل من الانتهاكات. حيث يجبر المعتقلون على الانبطاح ووجوههم إلى الأرض، وأيديهم مكبلية، وقد أدخلت رؤوسهم في قنسوات أو عصبت عيونهم أثناء عملية الاعتقال. وأثناء التحقيق، تعرضوا، بحسب ما ذكر، للضرب المتكرر، وكبلوا بالقيود لفترات طويلة في أوضاع مؤلمة، بينما أخضع بعضهم للحرمان من النوم، وأجبروا على الوقوف لفترات طويلة جداً، وعرضوا للتسجيلات الموسيقية عالية التردد، وللأضواء الساطعة.

إن التصدي لهذه الحوادث ينبغي أن يعطى الأولوية إذا ما أريد للشعب العراقي أن يعيش حراً من الممارسات الوحشية والمهينة. وحتى ينعم العراق بمستقبل سلمي لائق، يتعين أن تحتل حقوق الإنسان موقعاً مركزياً في مسيرته إلى الأمام.

حالات التعذيب وإساءة المعاملة

اعتقل خريسان خالص أبالي، البالغ من العمر 39 عاماً، من منزله في بغداد في 30 أبريل/نيسان 2003 هو ووالده البالغ من العمر 80 عاماً. وعلى ما يبدو، فإن قوات الائتلاف كانت تبحث عن عزت الدوري، أحد كبار مسؤولي حزب البعث. وأصر خريسان أبالي على أنه لا يعلم شيئاً عن مكان وجوده. وخلال استجوابه في مرفق الاعتقال التابع لمطار بغداد، أجبر على الوقوف أو الركوع ووجهه إلى الحائط لسبعة أيام ونصف، ووجهه محشور داخل قنسوة، بينما أوثقت يده على نحو مؤلم بشرائط بلاستيكي. وفي الوقت نفسه، وضع ضوء ساطع أمام القناع الذي

ألبسه، بينما كانت نغمات موسيقية نشاز تنبعث بصوت عالٍ قريباً منه. وخلال هذه الفترة كلها، حرم من النوم، وغاب عن الوعي عدة مرات. وذكر أنه في إحدى المرات، داس أحد جنود الولايات المتحدة على قدمه، ما أدى إلى سحق أحد أظافر أصابع قدمه. وأدى طول الركوع إلى نزف ركبتيه، ولذا قضى معظم وقته واقفاً؛ وعندما أبلغ بعد سبعة أيام ونصف بأنه سيفرج عنه، وأن باستطاعته الجلوس، كانت إحدى ساقيه بحجم كرة قدم. واستمر احتجازه يومين آخرين، حتى يتحسن وضعه الصحي، على ما يبدو، وأفرج عنه في 9 مايو/أيار 2003.

وذكر عبد الله خضران الشمران، وهو مواطن سعودي، بعد إطلاق سراحه أنه قد عذب بالصددمات الكهربائية. وكان قد اعتقل مع ستة أشخاص آخرين يحملون جنسيات مختلفة في الرطبة في أوائل أبريل/نيسان 2003 من قبل قوات الولايات المتحدة والقوات العراقية الحليفة لها أثناء سفرهم من سوريا إلى بغداد. وإثر اعتقالهم، عصبت عيونهم جميعاً، بينما كبلت أيديهم خلف ظهورهم، وأجبروا على المشي لمدة ثلاث ساعات. ولدى وصولهم إلى موقع غير معروف، أخضع عبد الله الشمران، بحسب ما زعم، للضرب وللصعق بالصددمات الكهربائية. وشملت أساليب التعذيب الأخرى، بحسب ما ذكر، تعليقه مربوطاً من ساقيه، وربط عضوه التناسلي. وذكر أيضاً أنه حرم من النوم، بينما كانت موسيقى نشاز تبث على نحو مستمر وبصوت مرتفع. واهتمته سلطات الاعتقال بأنه "إرهابي".

شاكر (30 عاماً)

واعتقل شاكر، وهو سائق تكسي في الثلاثين من العمر من البصرة، مع صديقه من قبل جنود بريطانيين في 10 أبريل/نيسان 2003. ولم يكن مسلحاً، غير أن صديقه كان يحمل سلاحاً. وزعم شاكر أن الجنود البريطانيين قاموا بضربه على فمه وكسروا أحد أسنانه. وبينما كان ملقى على الأرض قام خمسة جنود بضربه قرابة 10 دقائق. وقاموا بركله واستخدموا بنادقهم في ضربه. ونقل شاكر وصديقه إلى نادي الجنوب في التحسينية قريباً من السامار. وقال: "وضعوا رأسي في قنسوة وكبّلوا يدي خلف ظهري، وبين الوقت والآخر كان أحد الجنود يأتي ويركلني، واستمر ذلك طوال الليل. وعندما طلبت ماء لأشرب، قاموا بضربي، وكان فمي ينزف، إلا أنهم رفضوا أخذني إلى الحمام لأغسله".

حالات الوفاة في الحجز

ثمة ظروف تشير إلى أن بعض من توفوا في الحجز فارقوا الحياة بسبب التعذيب. وحالة بهاء داوود المالكي موثقة على نحو جيد. إذ كان بين ثمانية من عمال الفنادق العراقيين اعتقلوا في 14 سبتمبر/أيلول 2003 على أيدي القوات البريطانية في البصرة. وتعرض الثمانية جميعاً، بحسب ما ذكر، للضرب المبرح على أيدي الجنود. وبعد ثلاثة أيام، سُلم والد بهاء جثة ولده، وآثار الضرب المبرح على جسده الملطخ بالدماء. ونقل معتقل آخر، هو كفاح طه، إلى المستشفى في وضع بالغ الخطورة، وكان يعاني من عدم القدرة على التبول ومن كدمات شديدة. وأتارت منظمة العفو الدولية بواعث قلقها بشأن وفاة بهاء وغيره من المحتجزين مع وزارة دفاع المملكة المتحدة في رسالة بعثت بها في 22 أكتوبر/تشرين الأول 2003. ورد مسؤول في وزارة الدفاع على رسالة المنظمة في نوفمبر/تشرين الثاني 2003 ليقول إنه قد بوشر بتحقيق في القضية من جانب الشرطة العسكرية الملكية.

نمط من الوحشية والقسوة في سجن أبو غريب

كانت هذه هي كلمات امرأة تبلغ من العمر 50 عاماً، تدعى هـ (نحتفظ بالاسم)، وقابلتها منظمة العفو الدولية قرب بغداد في فبراير/شباط 2004. فقد اعتقلها جنود الولايات المتحدة في سبتمبر/أيلول 2003 واتهموها باستضافة بعثيين في بيتها، الأمر الذي أنكرته. وفي أول أماكن احتجازها، أبلغها المحقق التابع للولايات المتحدة من خلال مترجم أنها: "ما لم تعترف، فإنه لن ترى أولادها في يوم من الأيام". وبعد 22 يوماً، نقلت هـ إلى تكريت، حيث خضعت للاستجواب لأربعة أيام. وبعد قضاء 11 يوماً هناك، نقلت إلى سجن أبو غريب، قريباً من بغداد، حيث قضت 26 يوماً. وغادرت هي ومعتقلون آخرون تكريت في الساعة 3 صباحاً، وعندما وصلوا إلى أبو غريب، تُركوا دون طعام لمدة تقرب من 20 ساعة. وقالت هـ: كانت الاستخبارات الأمريكية تواصل تحقيقاتها مع النزلاء من الرجال ليل نهار داخل حمام أمام إحدى الزنازين - كانت أبعاده لا تزيد عن مترين في ثلاثة أمتار. كانوا يحضرون السجناء إلى هذا الحمام/غرفة التحقيق عراة تماماً وقد وضعت رؤوسهم في فلنسوات. وكانت الفلنسوة مشدودة بشريط كان الجندي الأمريكي يجير السجناء منه في الاتجاه الذي يريد".

وتذكرت حادثة قُصف سجن أبو غريب فيها بقنابل المورتر، فقام بعض النزلاء المحتجزين في الخيام بالهتاف والتظاهر. ولمعاقبتهم، أحضر الأمريكيون 14 نزيلاً ذكراً، بحسب ما قالت، وهم عراة وأيديهم مكبلية، وطلبوا منهم فتح سيقانهم وضربوهم على مؤخراتهم حتى سقطوا على الأرض، ومن ثم طلبوا منهم فتح سيقانهم ثانية وضربوهم على مؤخراتهم لإيذاء أعضائهم التناسلية. وكان هناك صراخ كثير. وخلال تلك الليلة، نقل 14 نزيلاً إلى المستشفى. أحد ضروب العقاب الأخرى كان إجبارهم على السير على أطرافهم الأربعة، بينما كان الجنود يشدونهم من الفلنسوات التي وضعت فيها رؤوسهم.

"في كل مرة كانوا يحضرون فيها سجيناً جديداً، كانوا يحضرون معه قالباً من الثلج".

لم يكن بإمكان هـ رؤية ما كان يحدث داخل غرفة الاستجواب، ولكن كان باستطاعتها سماع الصرخات، وبعض الأسئلة التي كانت توجه أثناء عمليات الاستجواب. وفي كل مرة كان المحققون يحضرون فيها سجيناً جديداً، كانوا يحضرون قالباً من الثلج. لم تعرف السبب وراء إحضار الثلج، أو كيف كانوا يستخدمونه أثناء التحقيق. غير أن جلسات التحقيق كانت تشتمل على قالب الثلج، وكانت تليها، بعد بضع ساعات، زيارة من قبل طبيين، أحدهما أمريكي والآخر عراقي، للسجين الذي يكون في ذلك الوقت فاقداً للوعي. وكان السجناء يُخرجون من غرفة التحقيق فاقدى الوعي دائماً.

بعد قضاء 26 يوماً في أبو غريب، نقلت هـ إلى سجن آخر في بغداد، هو "تسفيرة الرصافة". وأفرج عنها في 22 يناير/كانون الثاني، ولا تزال تعاني من الآثار النفسية المريحة لمحتجتها في السجن. وخلال فترة وجودها في السجن، اضطر أطفالها إلى بيع بعض الأثاث حتى يقيموا أودهم.

توثيق منظمة العفو الدولية للانتهاكات

دأبت منظمة العفو الدولية بشكل ثابت على تقديم مزاعم المعاملة الوحشية والقاسية التي كان يمارسها عملاء الولايات المتحدة ضد المحتجزين في العراق، وغير ذلك من أماكن الاعتقال التابعة للولايات المتحدة في مختلف أنحاء العالم، إلى أعلى المستويات في حكومة الولايات المتحدة، بما في ذلك البيت الأبيض، ووزارة الدفاع، ووزارة الخارجية، على مدار السنتين الماضيتين.

وفي يوليو/تموز 2003، أصدرت منظمة العفو الدولية تقريراً تحت عنوان *العراق: مذكرة بشأن بواعث القلق المتعلقة بالقانون والنظام*، شكلت الأساس لمحدثات مع مسؤولين في سلطة الائتلاف المؤقتة في بغداد. وبين بواعث القلق التي أثارها المنظمة مع المسؤولين ما ورد من مزاعم بشأن تعذيب المعتقلين.

وفي 14 نوفمبر/تشرين الثاني 2003، كتبت منظمة العفو الدولية إلى وزير الدفاع، دونالد رامسفيلد، إثر ورود أنباء صحفية بأن تمماً قد وجهت إلى ثمانية من احتياطي قوات البحرية بالعلاقة مع مزاعم إساءة معاملة معتقلين عراقيين. وسعت منظمة العفو الدولية في رسالتها إلى الحصول على معلومات بشأن أي تحقيقات أخرى أجريت بالعلاقة مع الاستخدام المفرط للقوة من جانب موظفين عسكريين ضد مدنيين عراقيين، وتعذيبهم أو إساءة معاملتهم. ولم تتلق المنظمة أي رد.

وفي رسالة مفتوحة إلى رئيس الولايات المتحدة جورج دبليو بوش، بتاريخ 7 مايو/أيار 2004، قالت منظمة العفو الدولية إن الانتهاكات التي يزعم بأن عملاء الولايات المتحدة قد ارتكبوها في سجن أبو غريب في بغداد تشكل جرائم حرب، ودعت الإدارة إلى فتح تحقيق واف فيها لضمان عدم إفلات أحد تبيين مسؤوليته من العقاب، بغض النظر عن منصبه أو رتبته.

إن لجنة الأمم المتحدة لمناهضة التعذيب، وهي الهيئة الخبيرة التي أنشئت بمقتضى اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة، قد بينت صراحة أن تقييد المحتجزين في أوضاع شديدة الإيلام، ووضع رؤوسهم في قنسوات، وتهديدهم، وحرمانهم لفترات طويلة من النوم، هي أساليب تحقيق تنتهك الحظر المفروض على التعذيب والمعاملة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة.

بادروا بالتحرك

ابعثوا بمناشادات فورية إلى سلطات الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، بصفتها سلطتي احتلال، مسترشدين بالرسالة التالية:

يساورني قلق عميق بسبب ما تكشف من أدلة على التعذيب وإساءة المعاملة في الآونة الأخيرة من سجن أبو غريب في العراق. إن أبحاث منظمة العفو الدولية تشير إلى أن هذه ليست حادثة معزولة، وإلى أن ما تم نشره من انتهاكات قد فاقمت من هشاشة الوضع في العراق، المتفجر أصلاً. ولقد قابلت منظمة العفو الدولية معتقلين سابقين في العراق وأفغانستان ذكروا أنهم قد تعرضوا للتعذيب وغيره من ضروب المعاملة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة أثناء التحقيق والاحتجاز، وأنهم قد أوصلوا هذه المعلومات على نحو متكرر إلى مسامع حكومتكم.

إنني أحثكم على دعم إجراء تحقيق مستقل في جميع مزاعم التعذيب والمعاملة السيئة، والكشف عن نتائج هذا التحقيق على الملأ، كما أحثكم على التعاون مع لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان وغيرها من الجهات التي تجمع المعلومات بشأن هذه الانتهاكات. وينبغي أن لا تشمل هذه التحقيقات الجناة المباشرين فحسب، وإنما يتعين كذلك أن تشمل أيضاً المراتب العليا من الأشخاص المسؤولين عن إصدار الأوامر بشأنها.

إن استخدام أساليب ترقى إلى مرتبة التعذيب أو سوء المعاملة أثناء التحقيقات يجب أن يتوقف الآن. وتشكل هذه الأساليب احتجاز المعتقلين عراة، وجعلهم يتخذون أوضاعاً مؤلمة، وحرمانهم من النوم، وتعريضهم للبرد الشديد، ووضع رؤوسهم في قنسوات. ويجب كذلك أن يتوقف الاحتجاز بمعزل عن العالم الخارجي، لبتاح لجميع المحتجزين فرصة فورية للاتصال بعائلاتهم ومحاميهم، كما ينبغي السماح للهيئة الدولية للصليب الأحمر وغيره من منظمات حقوق الإنسان بالدخول المنتظم إلى مرافق الاعتقال.

وإن تعذيب العراقيين وإساءة معاملتهم يمثل حرقاً لالتزامات الولايات المتحدة والمملكة المتحدة بمقتضى القانون الوطني والدولي. ويتعين لمعالجة هذه الحوادث أن تكون إحدى الأولويات إذا ما أريد للشعب العراقي أن يعيش حراً من الممارسات الوحشية والمذلة. وحتى يكون للعراق مستقبل سلمي يمكن صيانته، يجب أن تكون حقوق الإنسان عنصراً مركزياً في مسيرته إلى الأمام.

أشكر لكم عنايتكم بهذا الأمر، وأتطلع إلى معرفة ردكم.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام،

لمزيد من المعلومات

عناوين للمناشدات:

The Honorable Donald Rumsfeld
Secretary of Defense
Office of the Secretary
The Pentagon
Washington, DC 20301, USA

فاكس: +1 703 697 8339

بريد إلكتروني: public@defenseink.mil

طريقة المخاطبة: عزيزي وزير الدفاع Dear Secretary of Defense

Rt Hon Geoffrey Hoon MP
Secretary of State
Ministry of Defence
Old War Office Building

Whitehall
London SW1A 2E
UK

بريد إلكتروني: public@ministers.mod.uk

يرجى كتابة عنوانك البريدي الكامل إذا كنت تعتزم إرسال مناشدتك بالبريد الإلكتروني

طريقة المخاطبة: معالي وزير الدولة Dear Secretary of State

أسلاك شائكة أمام برج للمراقبة، سجن أبو غريب، بغداد

APGraphicsBank ©